مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

البحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الجامعة الجزائرية
– القضايا والمناهج–

Research in the Economic and Social History in the Algerian University -Issues and Methods

الطالب. فارس بكيس
Fbekkis19@gmail.com
د. عمر حيدوسي
جامعة باتنة 1

تاريخ الإرسال: 09_12_2018 **تاريخ القبول:** 19_09_2019

الملخـــص:

تحاول هذه الدراسة رصد التغيرات المعرفية والمنهجية، على مستوى الكتابة التاريخية الأكاديمية بالجامعة الجزائرية في الفترة الوسيطة، والتي نستشفّ من خلالها بداية تراكم وتغير في القضايا المطروحة ابتعاداً وانفلاتاً من أسر التاريخ السياسي والوطني، الذي شغل هم الباحثين ردحاً من الزمن. إنّ حضور قضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في دراسات الباحثين الجزائريّين يعكس مدى انفتاحهم على مجالات أخرى، وحقول جديدة من البحث التاريخيّ، التي كان لها أثر في إحداث خطوة نوعيّة في مجال الكتابة التاريخيّة، والوصول إلى نتائج مغايرة تماما لما درجت عليها الكتابة التاريخية التقليدية؛ وذلك بالانفتاح على مقاربات جديدة ومصادر دفينة ومناهج متعدّدة.

الكلمات المفتاحية: التاريخ؛ التاريخ الاقتصادي والاجتماعي؛ الجامعة الجزائرية؛ الكتابة التاريخية الأكاديمية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

Abstract:

This study attempts to illustrate the changes in the level of historical academic writing in the Algerian University during the intermediate period, in which we deduce the beginning of accumulation and change in the issues that have emerged from the political and national history, which has captured researchers' thinking for a long time. Studies of Algerian researchers reflect their openness to other fields, and new fields of historical research, which had the effect of making a qualitative step in the field of historical writing; by opening up to new approaches, various sources and methods.

KeyWords: history; economic and social history; Algerian university; academic and historical writing.

توطئـــة:

إن المتتبّع لشأن الكتابة التاريخيّة الأكاديميّة في الجزائر بعد مرور مـــا يزيـــد عـــن خمسين سنة من البحث يجدها ظلّت رهينةَ الكتابات السياسيّة والعسكريّة، على أنّ عددًا من الدراسات المعاصرة الجادة، سعت للتّجديد في القضايا والمصادر والمنـــاهج، آملـــة تصحيح المسار في منجز الكتابة التاريخيّة، مستفيدةً من التحـــوّلات في الإســـطوغرافيا العالميّة وخاصّة الفرنسيّة، وبالضّبط مع مدرسة الحوليات ووريثها التاريخ الجديد، الـــتي انفتحت على مجالات أخرى، من قبيل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، تاريخ الذهنيات والعقليات، التاريخ الثقافي، تاريخ المهمشين، والتاريخ اليومي...، والتي عدّت بحق إضافة متميّزة للكتابة التاريخيّة وشكّلت إضافة لها قيمتها/وزنها في مجال الفكر الإنساني عامّـــة والفكر التاريخي خاصّة.

داخل هذه الصيرورة من البحث التاريخي العالمي وانجازاته، نلمس انفتاحا واضحا للباحثين في حقل التاريخ بالجامعة الجزائرية، على إشكالات وقضايا مغايرة وفتح آفـــاق

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

جديدة، وبخاصّة على التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، الذي يهتمّ بفئات المجتمع بغية التعرّف على كافّة أنماط النشاط البشري. إن المتتبّع لما أنجز من أطاريح يستشفّ بداية تراكم تعبّر عن رغبة في التّجديد، والانفلات من أسرِ التاريخ السياسي والوطني، والعمل على إعادة صياغة مفهوم التاريخ والدخول بالكتابة التاريخية في قطاعات جديدة لا تنتمي بالضرورة إلى حقله، وذلك بالانفتاح على مقاربات جديدة ومصادر دفينة ومناهج متعدّدة.

لقد شهدت الجامعة الجزائريّة في العقد الأخير تحوّلا نوعيّا من حيث موضوعات البحث التاريخي؛ من قبيل الانفتاح على حقول جديدة كالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الذي استهوى العديد من الباحثين، الذين ما فتئوا في غير مرّة يذكّرون بأهميّة هذا المجال من البحث التاريخي، ولعلّ الباعث الذي جعلهم ينجذبون إلى هذا النوع من التاريخ هو "التحوّلات التي عرفتها ممارسة المؤرخين للتاريخ.."[1]، في ظل ما أنتجته "الإسطوغرافيات العالميّة، وتحديدا الأوروبيّة والأمريكيّة"[2]، وأيضا محاولة بناء نسق متكامل للبحث التاريخي، وذلك من أجل إعادة الاعتبار للفئات الاجتماعية "بعد أن كانت محلّ تهميش"[3] في الكتابات التاريخيّة الوسيطة، وحتى في الكتابات المعاصرة لا يزال الكثير من المؤرّخين

[1]– كريستوف بوميان، تاريخ البنى، ضمن كتاب التاريخ الجديد، إشراف، جاك لوغوف، ترجمة، محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص 202–203.

[2]– يراجع، التاريخ الجديد، إشراف، جاك لوغوف، المرجع السابق، وبيتر بوركي، نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، ترجمة، قاسم عبدو قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

[3]– مولود عويمر، من أجل التاريخ، ضمن كتاب نصف قرن من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية 1962–2012، إعداد، علاوة عمارة وآخرون، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013، ص 30.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

"يعوّلون على التاريخ السياسي والعسكري، أمّا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي فقد ظلّ بعيدا عن البحث والدرس والاستقصاء"[1]، إلا أن هناك باحثين نبهوا على أنّ الفترة الوسيّطة شهدت تنوّعا في مجالات القضايا التاريخيّة المدروسة، ابتعادا عن جاذبيّة التاريخ السياسي[2]. ولعل مما يزيد من رجاحة هذا القول هو الحضور المتزايد لقضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في عناوين الرسائل المنجزة في هذه الفترة.

إنّ إلقاء نظرة على الكتاب الذي أشرف عليه الأستاذان علاوة عمارة ومولود عويمر –نصف قرن من البحث التاريخي في الجامعات الجزائريّة(1962–2012)–، والذي يطالعنا بنسبة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من مجموع الرسائل المنجزة في الفترة الوسيطة، فمن مجموع 312 رسالة نحصي 93 رسالة أي بنسبة 29.80%، من مجموع الرسائل المنجزة في الفترة الوسيطة[3]، وهذه النسبة المرتفعة تؤكد حجم الاهتمام الذي حظي به التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في العقد الأخير، وقد تؤشر الأعمال التي أشرفت عليها الأستاذتان بوبه مجاني وفاطمة بلهواري باعتبارهما "امتدادٌ لمدرسة التاريخي الاجتماعي"[4]، ورائدها المؤرخ المصري محمود إسماعيل[1]، على هذا التوجه اللافت في الكتابة التاريخية.

[1]– محمود إسماعيل، المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص07.

[2]– لخضر بولطيف، نحو مدرسة تاريخية جزائرية.. فتح ملفات عالقة، ضمن كتاب، الفقه والتاريخ مقاربات منهجية، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، 2014، ص268.

[3]– علاوة عمارة وآخرون، نصف قرن من البحث التاريخي في الجامعة الجزائرية 1962–2012، المرجع السابق، ص 86–136.

[4]– لخضر بولطيف، نحو مدرسة تاريخية جزائرية، ضمن كتاب الفقه والتاريخ، المرجع السابق، ص 262.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

ويمكن التدليل على ذلك أيضا بإشارة لطيفة لكنها مهمّة، التقطناها من أطروحة الأستاذة لطيفة بشاري حول الرقّ في بلاد المغرب، حيث اشارة في المقدمة –الشكر والإهداء–، أن المؤرخ الكبير موسى لقبال تنازل عن الأشراف عن أطروحتها لصالح الأستاذة بوبة مجاني وذلك لخصوصيّة الموضوع[2]، وهذا في رأيي دليل على مدى التأثير الذي أحدثته في توجيه الطلبة لمعالجة مثل هذه المواضيع.

ويراهن هذا المقال على لمس المنحى التجديدي في هذا المجال من البحث التاريخي في الجامعة الجزائريّة، لينصبَّ التركيز على الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما مدى جدّةُ القضايا المطروحة؟ وما المصادر التي عوّل عليها الباحثون في هذا المجال من الكتابة التاريخية؟ وما هي المناهج المستخدمة في هذا الحقل التاريخي؟ وما مقدار الانفتاح على مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية؟

أولا: القضايا المطروحة:

تنوّعت قضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في كتابات الباحثين الجزائريين، إلّا أن القاسم المشترك بينها هو التركيز على إبراز " كافّة الفاعلين في التاريخ وإبراز دورهم في حركته،[فهذا النوع من الكتابة التاريخيّة] يرفض أن يقتصر الفعل التاريخي على

[1]– هو مشروع أكاديمي تبناه المؤرخ محمود إسماعيل من خلال إشرافه على مجموعة من الأطاريح في الجامعات العربية. إبراهيم القادري بوتشيش، من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين نظرات في تجديد الأدوات المنهجية للمؤرخ، ضمن كتاب، دراسة المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب، تنسيق، عبد الرحمن المودن وآخرون، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص49.

[2]– يراجع، مقدمة رسالة لطيفة بشاري، الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين (1–4ه / 7–10 م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

أصحاب السلطة والنفوذ" [1]. على نقيض الكتابة التاريخيّة الوسيطة التي ركّزت على السلطة الحاكمة، وكذا "المدرسة الوضعية التي ركّزت على تاريخ العظماء"[2]، إذ تروم القضايا في هذا الحقل من البحث إلى معالجة الفئات الاجتماعيّة "لأنّها الوحيدة القادرة على إبراز الجوانب الخفيّة التي ظلّت في منطقة الظّل"[3]، ومحاولة إزالة العتمة عن هذا الفضاء الذي ظلّ محظورًا في المدوّنة التاريخيّة التقليدية.

إن ما يلاحظ على القضايا المدروسة أنّها تتوزّع وفق ثلاثة مستويات رئيسة؛ أولها ما اشتغل أصحابها بمعالجة قضيّة تتعلّق بالتاريخ الاقتصادي، وثانيها ما تعلّق بالتاريخ الاجتماعي، والمستوى الثالث ما انصبّت فيها الدراسة على المستويين معا. ضمن هذه المستويات الثلاثة يحتلّ التاريخ الاجتماعي النسبة الأكبر بـ:57 رسالة من مجموع 93 رسالة أي بنسبة 61.29%. بينما جاء التاريخ الاقتصادي في المرتبة الثانية بـ: 22 رسالة أي بنسبة 23.65 %، و14 رسالة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي أي بنسبة 15.05%.

[1]– خالد اليعقوبي وخالد طحطح، التاريخ من أسفل في تاريخ الهامش والمهمش، منشورات الزمن، المغرب،2016، ص 50.

[2]– المرجع نفسه، ص25.

[3]– موسى رحماني، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (362–637/27– 972م) دراسة اجتماعية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ والأثار، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2006، ص06.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

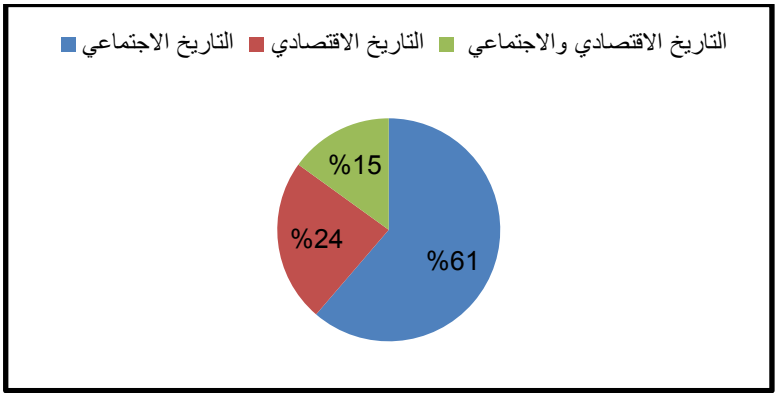

فيما عدا ذلك نحصي عشر (10) دراسات أولت عنايتها بالمشرق الإســـلامي؛ وتشمل رسائل الباحثين: مسعود خالدي[1]، سمير طبي[2]، شفيقة عيساني[3]، محمد الصديق محمودي[4]، نور الدين موهوبي[5]، جميلة بن موسى[1]، فريد فوغالية[2]، جمال بن مجـــدوب[3]، أحمد بوعنينة[4]، نوال جادي[5]. وبنسبة تقدر بـــ: 10.75 %.

[1]– مسعود خالدي، الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء السودان الأوسط والغربي بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي العشر والسادس عشر الميلاديين رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009.

[2]– سمير طبي، دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي 322–447ه، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2006.

[3]– شفيقة عيساني، القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة الجغرافيين المسلمين 3–8 ه/ 9–14م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2010.

[4]– محمد الصديق محمودي، حركة الشطار والعيارين ببغداد في القرنين 3–4ه/ 910م، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2010.

[5]– نور الدين موهوبي، أثر الموالي في الحياة العلمية في بغداد 145–300ه/ 762–912م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

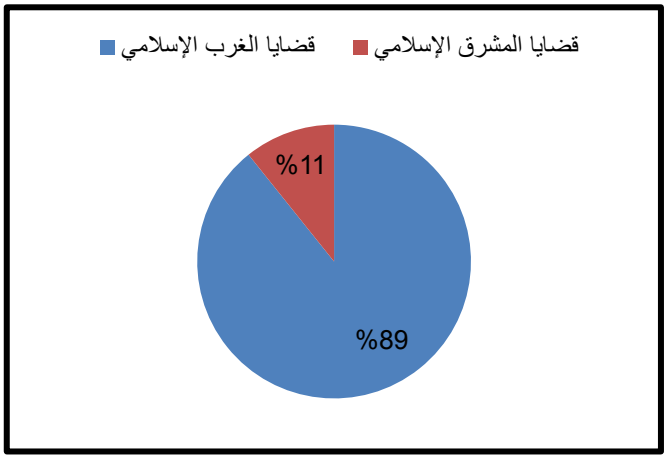

أما ما يسجل من اهتمام كبير بقضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغـــرب الإسلامي، فمرده إلى جملة من العوامل:

[1]– جميلة بن موسى، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر الإسلامية في ضوء نصوص أوراق البردي العربي والكاغط والرق (2–5ه /8–11م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2010.

[2]– فريد فوغالية، الأزمات الاقتصادية في العراق وأثرها السياسي والاجتماعي (334–247ه/ 861–945م)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2010.

[3]– جمال بن مجذوب، تجارة المسلمين مع الهند والصين خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009.

[4]– أحمد بوعنينة، الموارد المالية وسبل إنفاقها في العهد النبوي (1–11ه)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2001.

[5]– نوال جادي، الأسواق في الحواضر الإسلامية الكبرى بين القرنين (2–4ه / 8–10م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2011.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

1- عودة الباحثين الجزائريين الذين درسوا في جامعات مشـــرقية ودورهـــم في توجيه الطلبة نحو هذا الاتجاه الذي يعدّ مجالا خصبا للدراسة وخاصة ما تعلّق بـــالغرب الإسلامي.

2- قلّة الدراسات حول الغرب الإسلامي، وبالضّبط المغرب الأوسط بالمقارنة مع المشرق.

3- الموجة التي أحدثتها مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بقيادة المـــؤرخ محمود إسماعيل وتلامذته في المغرب، حيث عُدّت دراساتهم إضافة متميّزة على مســـتوى الكتابة والتنظير في العالم العربي. وتجدنا بإزاء عدّة قضايا وموضوعات أنجزت بالجامعـــة الجزائريّة من قبيل: العبيد والرقيق[1]، الطوائف وأهل الذّمة[2]، المرأة والعامّـــة[3]، التصـــوّف والمتصوّفة[4]، الأوبئة والمجاعات[5]، الأقليّات والإثنيات[6]، المجتمع والبيئة[1]، المدينة والباديـــة[2]

[1]- لطيفة بشاري، الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين (4-1ه/7-10م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007.

[2]- محمد الأمين ولد أن، أهل الذمة بالأندلس في ظل الدولة الأموية (422-138ه/ 755-1031م) رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2006.

[3]- سهام دحماني، المرأة والتصوف، في المغرب العربي الإسلامي القرن 6-9ه/ 12-15م، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.

[4]- الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9-8ه/ 14-15م) رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2010.

[5]- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (927-580ه/ 1192-1520م) رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.

[6]- مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الدولة الموحدية، رسالة ماجستير، ماجستير، جامعة الجزائر، 1992.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

والبادية[2] الزراعة والفلاحة[3]، التجارة والتّجار[4]، الحرف والصنائع[5]، الأسواق والمحلّات[6]، الإقطاع والأحباس[7]، ...

الملاحظة التي لا ينبغي إهمالها هي أنّ أغلب الدراسات في حقل التاريخي الاقتصادي والاجتماعي تعتمد الجداول والأرقام الدّقيقة والبيانات التي تبنى وفق معطيات وإحصاء واستقراء إلّا أنّ عددا من هذه الدراسات لم تستطع الانفلات من دائرة الوصف إلى التحليل ثمّ إعادة البناء، لما يكتنف المجتمع من تعقيد وتركيب، بحيث لا تتأتى دراسته بمعزل عن توليفة منهجية تستحضر كل الفعاليات، مع محاولة الغوص في ثنايا النصوص واستنطاقها.

[1]– كمال منصوري، البيئة والحياة الحضرية بالمغرب الأوسط (10–5ه/ 11–19م) عنابة نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2012

[2]– الطاهر طويل، التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة إلى القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008.

[3]– عبد العزيز رشيد، زراعة الحبوب في المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012.

[4]– عبد القادر مباركية، التجار والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن 3ه/ 9م إلى القرن 10ه/16م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2012.

[5]– العربي لخضر، الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني (962–633ه/ 1335–1554م)، رسالة ماجستير، جامعة معسكر، 2011.

[6]– الهوارية بطيب، السوق في الدولة الزيانية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2003.

[7]– نعيمة بلحاج، الإقطاع في الأندلس في القرن (5ه/11م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

إلّا أن التّحدي الذي يطرح نفسه أمام الدارسين في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي يتمثّل في أن "يظهروا كيف أنّ الحياة اليوميّة في حقيقتها جزء من التاريخ، وأن يربطوا الحياة اليوميّة بالأحداث الكبرى"[1]، أي في كيفيّة الربط بين الفاعلين في التاريخ والأحداث العادية.

في هذا الحقل نجد دراسات سعت إلى التجديد، "باستحضار موضوعات إشكاليّة وليست تلقائيّة"[2]، إذ يتحتّم على الدارس في مجال التاريخ الاقتصادي والاجتماعي أنّ ينتقل من دراسة السطلة وحاشيتها، إلى دراسة الفرد والطبقات الاجتماعية كالعوام والمتسولين والعبيد، ومن التأريخ للبلاطات والقصور، إلى التأريخ للأرياف والبوادي والأماكن المهمشة.

كما يتحوّل المؤرخ من دراسة مجتمع ذكوري مهيمن على صنع القرار، مشبع بقيم الرجولة والبطولة إلى مجتمع أنثوي، مشبع بقيم الأنوثة كالجمال والمشاعر، وكذا الانتقال من المجال الشرعي إلى الخوض في الطابوهات والفضاء المحظور؛ كموضوعات السحر والشعوذة والدعارة والبغاء، كما يرتحل المؤرخ من المستوى الثقافي والحضاري للنخب العالمة إلى تاريخ الأميين، ومن تاريخ الأكثريّة إلى تاريخ الأقليات الإثنية والطوائف الدينيّة[3]، بعبارة أخرى "الانتقال من دراسة الظروف المحيطة بالإنسان إلى

[1]– بيتر بوركي، التاريخ الجديد ماضيه ومستقبله، المرجع السابق، ص33.

[2]– إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2014، ص 44.

[3]– إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص36– 39.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

دراسة الإنسان في ظل تلك الظروف"[1]، بغية الغوص في تفصيلات الحياة اليومية ومحاولة فهم دورها في حركة التاريخ.

ولا شك أنّ تنويع الأسئلة وتوسيع مجال القضايا التي يشتغل عليها المؤرّخ في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي يفضي بالضّرورة إلى تنويع المصادر المستعملة وتوسيع دائرة المناهج الموظفة.

ثانيا: المصادر المستعملة

لم تعد كتب الحوليات وكتب التراجم المورد الوحيد للكتابة التاريخية، فالتنوّع في مستوى الطرح الإشكالي لدى الباحثين اليوم، يقود بالضّرورة إلى تغير النظرة للمصادر، وخاصة على مستوى حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وسبب ذلك طبيعة المعلومات الواردة في المدونة التاريخية التقليدية التي تركز على تاريخ السلطتين: السياسية (كتب التاريخ والحوليات)، والعلميّة (كتب التراجم والطبقات).

على أن هناك باحثين[2] نبّهوا إلى وجود مصادر دفينة تحتوي على معطيات اقتصاديّة واجتماعيّة، لا تنتمي بالضرورة إلى كتب التاريخ. وما يعزّز هذا القول انجاز دراسات في المغرب والمشرق تؤكد "وجود مادّة علميّة زاخرة لم يتفطن الكثيرون لأهمّيتها، خصوصا أنّ معظمها مثبت في كتب الأدب والأمثال، والجغرافيا والرحلة، والفقه والنوازل"[3]، بالإضافة إلى كتب المناقب والتصوّف، لأنّ هذا النوع من المصادر

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين، المرجع السابق، ص 66.

[2]– إسماعيل محمود، المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2004، ص6.

[3]– عبد الرحيم بنحادة، حوار مع محمود إسماعيل عبد الرزاق أستاذ التاريخ الإسلامي بعين شمس، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 3، 2016، ص279.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

يكتسي أهمّية بالغة "بالنسبة لكل مؤرخ يهتمّ بدراسة الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، بصفتها تبرز حركية المجتمع، وتكشف عن واقعه الحقيقي المعاش"[1].

اعتمادا على هذه المدوّنات الثمينة، خصّص الباحثون في هذا الحقل عنايتهم بتوظيف مدوّنة الرحلة والبلدان باعتبارها المورد الأقرب للإسطوغرافيا، إذ يورد الباحث سمير طبي في مقدمة رسالته أهمّية هذا النوع من المصادر في إبراز الجوانب الاقتصادية لما تورده من معطيات عن الأسواق وأصناف المهن وأصحابها وأنواع البضائع[2]، ومسالك التجارة[3]، وعادات الناس وطرائفهم[4].

بالإضافة إلى توظيف مدوّنات تراثيّة ذات صلة وطيدة كمدوّنة الأدب والأمثال، لما تحتويه من معلومات دقيقة حول الشرائح الاجتماعيّة، وكما هو معلوم فهذه المدوّنة هي "لسان حال الرعيّة، ومرآة لأحوالها السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة"[5].

كما لا يخفى على باحث في التاريخ أهمّية كتب الفقه والنوازل، والتي توفّر "مادّة اجتماعيّة غاية في الأهميّة"[6]؛ كأخبار العبيد وأصنافهم، وعلاقة العبد بسيده، وأحكام الأسرى، بالإضافة إلى أنّها تزوّدنا بمعلومات عن أسواق تجارة الرقيق[7].

---

[1]– سمية مزدور، المرجع السابق، ص07.

[2]– يراجع، مقدمة رسالة سمير طبي، المرجع السابق.

[3]– لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 13.

[4]– يراجع، مقدمة رسالة، مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين (448–541ه/ 1056–1146م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2002/2001.

[5]– يراجع، مقدمة رسالة مليكة حميدي، المرجع السابق.

[6]– موسى رحماني، المرجع السابق، ص18.

[7]– لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 10–12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

فضلا على أنّه لا ينبغي إغفال قيمة مدوّنة التصوّف والمناقب، والتي لا تقلّ أهميّة عن كتب النوازل والفقه، لما تزخر به من مادّة ثمينة حول الأولياء وعلاقتهم بالشـــرائح الاجتماعيّة. وكل ذلك لا يسقط –بالضرورة– من حسنات كتب الحوليات والتراجم لما توفّره من معرفة بزمان ومكان الحوادث، والتي تغيب في المدوّنات سابقة الذكر، باعتبار أنّه لم يكن الغرض منها التأريخ.

ثالثا: المناهج الموظفة

بفضل تجدد القضايا المطروحة في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتوسيع مفهوم الوثيقة لتشمل مصادر متنوعة، صار في متناول المؤرخ الانفتاح علـــى منـــاهج جديدة وتوظيفها في البحث التاريخي، بالإضافة "إلى ارتياد مسالك منهجيـــة لم تكـــن مستعملة على الأقل بالكثافة والدقة اللازمتين في أبحاث التاريخ [السياسي]"[1]، وبالتـــالي الوصول إلى نتائج مغايرة تماما لما درجت عليها الكتابة التاريخية التقليدية.

هذا من خلال توظيف المناهج التي نشأت في ظل الدرس الاجتماعيّ والفلســفيّ والأدبيّ واستغلالها في الحقل التاريخيّ، ومن أبرزها ما يأتي[2]:

المنهج الإحصائي الذي يعنى باستقصاء قضايا مرتبطة بالتغذية والإنتاج الزراعـــيّ والأمراض والمجاعات وذلك باستخراج جداول ومنحنيات بيانيّة، تخوّل للمـــؤرخ بنـــاء نسق متكامل عن حياة الأفراد وذهنيّاتهم، ومشاعرهم. وهذا المنهج يعد أكثـــر المنـــاهج حضورا في دراسات التاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ في الجامعة الجزائرية، فلا تكاد تخلوا مقدمة من ذكر هذا المنهج[3].

[1]– إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 43.

[2]– المرجع نفسه، ص 46–50.

[3]– يراجع، مقدمة رسالة، فاطمة بوعمامة، المرجع السابق. وسمية مزدور، المرجع السابق، ص05.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

بالإضافة إلى المنهج السيميائيّ الذي استعمل في اللسانيّات، ثم طبق في الدراسات التاريخيّة وهو منهج يعتمد على دراسة الشارات والعلامات وإدراك أبعادها الدلالية والرمزية في كشف النقاب على الفئات الاجتماعيّة، خاصّة في الروايات المناقبيّة، ونصوص الكرامات الصوفيّة.

هذا مع الاستعانة بالمنهج الأنثروبولوجي الذي يهتم بالعادات والتقاليد التي تميز بعض الجماعات والشعوب، كالمأكل والملبس والمسكن... والتي يفصح المجتمع من خلالها عن هوّيته وكينونته.

وكذا المنهج البنيوي حيث يعد أداة للتحليل تقوم على فكرة الكلية، ويكشف عن وحدة العناصر وترابطها، وهو منهج كليّ يشمل معالجة تاريخ كافّة النّاس، ما يمكّن من قراءة التاريخ قراءة بنيويّة متكاملة، ومع الفائدة المهمّة لهذا المنهج إلا أنه غائب في الدراسات الأكاديمية الجزائريّة ولعل هذا يرجع لغياب التكوين.

إلّا أنّ ما يمكن ملاحظته على جل الباحثين الجزائريين هو عدم إيلائهم أهمية للرؤية والمنهج، على خلاف الباحثين المغاربة والتونسيّين، الذين نلمس لديهم الوضوح في الرؤية والمنهج، حتى أنّهم يذهبون بعيدا في التنظير والتّأسيس للآليات التي تساعد في توسيع الرؤية[1].

[1]– يراجع، إبراهيم القادري بوتشيش، النص التاريخي بين القراءة التأويلية والهرمنيطيقا، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد 36، 2017، ص70–77، وعبد الحميد هنيّة، مظاهر التجديد في البحوث التاريخية في تونس.. حالة فريق دراسات مغاربية، مجلة أسطور، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد 4، جويلية 2016، ص269–272.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

ولا غرو أن خلت مقدمات عدد من الرسائل التي أنجزت في جامعاتنا من ذكر للمنهج فيها، حيث اكتفى أصاحبها بذكر طريقة التعامل مع المادّة العلميّة جمعا ومقارنة وتحليلا[1]، فما بالك بالرؤية والتصور الذي يؤطّر الباحث في معالجة موضوعه.

الخاتمة:

وختاما لا يسعني القول سوى أنّ الكتابة التاريخيّة في الجامعة الجزائريّة تسير نحو تغيّر ملحوظ خاصّة في العقد الأخير. إنّ حضور قضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في دراسات الباحثين الجزائريّين يعكس مدى انفتاحهم على مجالات أخرى، وحقول جديدة من البحث التاريخيّ كان لها أثر في إحداث خطوة نوعيّة في مجال الكتابة التاريخيّة. وبالرغم من هذا الانفتاح في معالجة موضوعات جديدة وقضايا مبتكرة، وكذا نهل الباحثين من مدونات تراثية متنوعة وغنية بمعطياتها، إلّا أنّه يمكن تسجيل ملاحظات على الدراسات المنجزة من جانبين:

جانب القضايا:

– افتقار هذه الدراسات إلى العمل المؤسّساتي المنظّم الذي يحقّق التراكم المعرفي المطلوب.

– أغلب الدراسات لم تتعد المنهج الوصفي في شكل معالجة جامدة وجافة بحيث لا يطلع عليها إلا المتخصص، وبقيت حبيسة الرفوف في المكتبات، وهذا يقلّل من تأثيرها على مستوى خلق وعي بالنّسبة للمجتمع على عكس تجربة مدرسة الحوليّات التي انفتحت على جمهور واسع من القراء.

أما بالنسبة للمناهج، فيمكن ملاحظة:

[1]– لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص06.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

– ضعف التكوين في اللّغات فوّت فرصة الانفتاح على الدراسات الغربية والتراكمات الحاصلة على مستوى الكتابة التاريخيّة العالميّة.

– ضرورة انفتاح الباحثين في هذا الحقل على مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، من خلال وضع مقرّرات دراسية تراعي التحولات في مجال المناهج والمدارس، وكذا الانفتاح على الدرس الفلسفيّ والأنثروبولوجي.

قائمة المراجع:

1. إسماعيل محمود، المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

2. بشاري لطيفة، الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين (1–4ه / 7–10 م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007.

3. بطيب الهوارية، السوق في الدولة الزيانية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2003.

4. بلحاج نعيمة، الإقطاع في الأندلس في القرن (5ه/11م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012.

5. بنحادة عبد الرحيم، حوار مع محمود إسماعيل عبد الرزاق أستاذ التاريخ الإسلامي بعين شمس، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 3، 2016.

6. بوتشيش إبراهيم القادري، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2014.

7. بوتشيش إبراهيم القادري، النص التاريخي بين القراءة التأويلية والهرمنيطيقا، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد 36، 2017.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

8. بوتشيش إبراهيم القادري، من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين نظرات في تجديد الأدوات المنهجية للمؤرخ، ضمن كتاب، دراسة المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب، تنسيق، عبد الرحمن المودن وآخرون، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، المغرب، 2011.

9. بوركي بيتر، نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، ترجمة، قاسم عبدو قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

10. بوعنينة أحمد، الموارد المالية وسبل إنفاقها في العهد النبوي (11–1ه)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2001.

11. بولطيف لخضر، نحو مدرسة تاريخية جزائرية.. فتح ملفات عالقة، ضمن كتاب، الفقه والتاريخ مقاربات منهجية، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، 2014.

12. بوميان كريستوف، تاريخ البنى، ضمن كتاب التاريخ الجديد، إشراف، جاك لوغوف، ترجمة، محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007.

13. بونابي الطاهر، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9–8ه/ 14–15م) رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2010.

14. جادي نوال، الأسواق في الحواضر الإسلامية الكبرى بين القرنين (4–2ه / 8–10م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2011.

15. حميدي مليكة، المرأة المغربية في عهد المرابطين (541–448ه/ 1056–1146م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2002/2001.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

16. خالدي مسعود، الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء السودان الأوسط والغربي بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي العشر والسادس عشر الميلاديين رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009.

17. دحماني سهام، المرأة والتصوف، في المغرب العربي الإسلامي القرن 6–9ه/ 12–15م، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.

18. رحماني موسى، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (362–972/27–637 م) دراسة اجتماعية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ والأثار، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2006.

19. رشيد عبد العزيز، زراعة الحبوب في المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012.

20. طبي سمير، دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي 322–447ه، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2006.

21. طحطح خالد واليعقوبي خالد، التاريخ من أسفل في تاريخ الهامش والمهمش، منشورات الزمن، المغرب،2016.

22. طويل الطاهر، التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة إلى القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008.

23. عويمر مولود، من أجل التاريخ، ضمن كتاب نصف قرن من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية 1962–2012، إعداد، علاوة عمارة وآخرون، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

24. عيساني شفيقة، القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة الجغرافيين المسلمين 3–8 ه/ 9–14م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2010.

25. فوغالية فريد، الأزمات الاقتصادية في العراق وأثرها السياسي والاجتماعي (247–334ه/ 861–945م)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2010.

26. كواتي مسعود، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الدولة الموحدية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1992.

27. لخضر العربي، الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني (633–962ه/ 1335–1554م)، رسالة ماجستير، جامعة معسكر، 2011.

28. مباركية عبد القادر، التجار والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن 3ه/ 9م الى القرن 10ه/16م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2012.

29. بن مجذوب جمال، تجارة المسلمين مع الهند والصين خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009.

30. محمودي محمد الصديق، حركة الشطار والعيارين ببغداد في القرنين 3–4ه/ 910م، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2010.

31. مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (927–580ه/ 1192–1520م) رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.

32. منصوري كمال، البيئة والحياة الحضرية بالمغرب الأوسط (10–5ه/ 11–19م) عنابة نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2012.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة:583–603 تاريخ النشر: 17–12–2019

33. بن موسى جميلة، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر الإسلامية في ضوء نصوص أوراق البردي العربي والكاغط والرق (5–2ه /8–11م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2010.

34. موهوبي نور الدين، أثر الموالي في الحياة العلمية في بغداد 145–300ه/ 762–912م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008.

35. هنيّة عبد الحميد، مظاهر التجديد في البحوث التاريخية في تونس.. حالة فريق دراسات مغاربية، مجلة أسطور، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد 4، جويلية 2016

36. ولد أن محمد الأمين، أهل الذمة بالأندلس في ظل الدولة الأموية (138–422ه/ 755–1031م) رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2006.